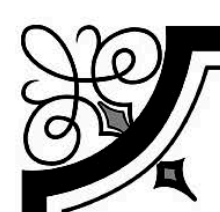
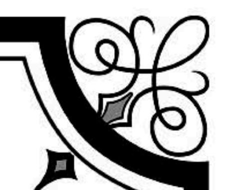



الأسس العقدية الواردة في غزوة الحديبية
من خلال صحيح الإمام البخاري
(دراسة دعوية)

د. حامد بن معاوض بن عطية الله الحجيلي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة
وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص الدراسة

تنحصر هذه الدراسة في بيان الأسس العقدية في غزوة الحديبية من خلال صحيح البخاري كما جاءت في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ودراستها دعوياً.

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

تم تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

ذكر نص غزوة الحديبية كما جاءت في صحيح الإمام البخاري، في كتاب الغزوات، باب غزوة الحديبية.

بيان ما جاء في الغزوة من بيان توحيد الربوبية، ودراسةً دعوياً.

إيضاح ما جاء في توحيد العبادة، ودراسةً دعوياً.

إيضاح ما جاء في إثبات بعض الأسماء والصفات لله تعالى، ودراسةً دعوياً.

بيان ما جاء في محبة النبي وتعظيمه وبعض دلالة نبوته، ودراسةً دعوياً.

بيان ما جاء في فضل الصحابة، ودراسةً دعوياً.

إيضاح ما جاء في طاعة الإمام في العسر واليسر، ودراسةً دعوياً.

Abstract of the Study

This study is restricted to elucidate the fundamental tenets illustrated during the Expedition of al-Hudaybiyah, which is found in Sahihul-al-Bukhari, Book of Expeditions, Chapter of the Expedition of al-Hudaybiyah, in conjunction with an academic study relating to its propagation & call.

This research paper consists of an introduction, a prelude, six chapters, a conclusion & indexes.

The introduction consists of the importance of this research paper, its limitations, its plan, and the methodology adopted within it.

A definition of the Creed, linguistically & terminologically, has been offered.

The Text of the Expedition of Al-Hudaybiyah, as narrated in Sahihul-al-Bukhari, Book of Expeditions, Chapter of the Expedition of al-Hudaybiyah, has been quoted.

Explaining the connotations of the Ghazwa, concerning the Oneness of Allah, the Exalted, in His lordship , with an academic study relating to its propagation & call.

Clarifying that which has been narrated concerning the oneness of Allah, the Most High, in His worship, with an academic study relating to its propagation & call.

Clarifying that which has been narrated in order to affirm and establish some of the Beautiful Names and Perfect Attributes for Allah, the Most High, with an academic study relating to its propagation & call.

Explaining that which has been narrated concerning loving the Prophet, venerating him and some conclusive evidences of his Prophethood, with an academic study relating to its propagation & call.

Explaining that which has been narrated on the virtue of the companions, with an academic study relating to its propagation & call.

Clarifying that which has been narrated in relation to be obedient to the Muslim Ruler in hardship and ease, with an academic study relating to its propagation & call.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران، آية:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء، آية:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآيتان:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[(١)].

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن تتبع نبيها محمد ﷺ

(١) هذه خطبة الحاجة أخرجها الإمام أحمد (١/ ٣٩٢)، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ. وأبو داود في كتاب النكاح ، باب في خطبة الحاجة برقم (٢١١٨)، والترمذي كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح برقم (١١٠٦) ، ط١، دار ابن حزم، ، بيروت، ١٤٢٢هـ، وقال الترمذي: صحيح ، والنسائي ، كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة برقم (١٧٠٩) وابن ماجه ، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح برقم (١٨٩٣)، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص (٩) .

فتأتمر بأمره، وتنتهج سنته، وتنزجر عما نهى عنه كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر، آية:٧].

وهي حينما تقتدي به ﷺ تنتهج السبيل الذي يرضى الله عنه؛ لأن ما يصدر عنه ﷺ من أمور الدين إنما هو وحي يوحى من عند الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم، الآيتان:٣-٤].

واتباعه -عليه الصلاة والسلام- هو الدليل على محبة الله وشرعه، فقد جعل الله اتباع نبيه ﷺ دليلاً على محبته جل وعلا، كما أخبر سبحانه؛ إذ قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ [آل عمران، آية:٣١].

فالمتبع لسبيله هو الأهدى سبيلاً، والأصح عملاً، ومن حاد عن سبيله ؛ فهو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وإن أعظم أمر يجب أن يقتدي الدعاة إلى الله فيه بالنبي ﷺ هو الدعوة لعقيدة التوحيد، وبيان أسسها. قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء، آية:٢٥].

والمتدبر لسنة النبي ﷺ وأحداث سيرته العطرة يجد فيها بيان ذلك وإيضاحه.

ومن هنا فإن من أعظم ما اشتملت عليه السيرة النبوية من أحداث يستنبط منها الأسس العقدية للداعية إلى الله (غزوة الحديبية)، فإن فيها من الحكم والفوائد ما لا يحصيه إلا الذي أحكم أسبابها. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحكم التي تضمنتها الغزوة: «وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها، فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته

وحمده»[١] .

وبناء على ذلك رأيت أن يكون عنوان البحث(الأسس العقدية الواردة في غزوة الحديبية من خلال صحيح الإمام البخاري -دراسة دعوية).

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية عظمى أجملها فيما يأتي:

١- أن هذا البحث متعلق بعقيدة التوحيد التي هي أعظم الواجبات، وآكد ما فرضه الله على العباد، فهي الأساس الذي تبنى عليه صحة الأعمال وقبولها، وهي التي ارتضاها الله عز وجل لعباده المؤمنين، فتنقذهم من غياهب الضلال والهوى إلى الهدى والحق.

٢- أنه يبين الأسس العقدية من خلال سيرة خير البشر نبينا محمد ﷺ الذي قال عنه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾[الأحزاب، آية:٢١].

٣- أنه يضع للدعاة إلى الله المنهج الحق في موضوعات الدعوة، وأنه ينبغي أن يدعى أولاً لأهم المهمات وأولى الأولويات (عقيدة التوحيد).

٤- عظم شأن غزوة الحديبية وما اشتملت عليه من حكم وفوائد، فقد سماها الله فتحاً؛ إذ قال﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح، آية:١].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٣/ ٣٠٩،، تحقيق: عماد زكي البارودي، خيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، مصر.

٥- أن هذا البحث يبين الإجراءات العملية لكيفية الدعوة لكل أساس من الأسس العقدية الواردة فيه.

حدود البحث:

تنحصر هذه الدراسة في بيان الأسس العقدية في غزوة الحديبية من خلال صحيح البخاري كما جاءت في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ودراستها دعوياً.

والأسس العقدية: هي ما وضح في الخطة التالية مع الاقتصار على بعض الشواهد لكل أساس بغرض الإيجاز والاختصار.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل عل أهمية البحث، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نص غزوة الحديبية كما جاءت في صحيح الإمام البخاري، في كتاب الغزوات، باب غزوة الحديبية.

المبحث الأول: ما جاء في الغزوة من بيان توحيد الربوبية.

المبحث الثاني:ما جاء في بيان توحيد العبادة.

المبحث الثالث: ما جاء في إثبات بعض الأسماء والصفات لله ﷻ.

المبحث الرابع: ما جاء في محبة النبي ﷺ وتعظيمه وبعض دلائل نبوته.

المبحث الخامس: ما جاء في فضل الصحابة -رضي الله عنهم-.

المبحث السادس: ما جاء في طاعة الإمام في العسر واليسر.

الخاتمة.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

إن المناهج البحثية التي يناسب الأخذ بها في البحث ما يأتي:

١-المنهج الاستنباطي: وهو «ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها» [١]

ويستخدم الباحث هذا المنهج عند استنباط الأسس العقدية من غزوة الحديبية.

٢-المنهج الوصفي التحليلي: وهو «دراسة وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلاً كمياً أو تحليلاً كيفياً» [٢] .

وعيله فإن الباحث لا يكتفي باستنباط الأسس العقدية وإنما تحليلها ودراستها دعوياً.

---

(١) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص١٨.

(٢) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، ص٢٠٦.

بالإضافة إلى اتباع الخطوات المنهجية في كتابة الأبحاث وهي:

١ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث؛ فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإشارة إلى مواطنها فيهما، وإن كانت في غيرهما فإني أخرجها وأذكر أقوال أهل العلم في بيان درجتها.

٣- عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة مع بيان اسم الكتاب والمؤلف.

٤- عمل الفهارس اللازمة كما هو موضح في الخطة.

التمهيد:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

أولا: تعريف العقيدة لغة:

«العين، والقاف، والدال، أصل يدل على شد وشدة ووثوق»[(١)] .

وهي تدور بين عدة معان، منها: الربط، والشد، والعهد، والملازمة، والتأكيد سواء كانت هذه المعاني حسية أو معنوية.

فالربط والشد بقوة. يقال: عقد الحبل، يعقُده عقداً، إذا ربطه وشدّه بقوة.

والعهد. يقال: بين هذه القبيلة وتلك عقدٌ: أي عهد. وجمعه عقود. ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[المائدة، آية:١]، أي أوفوا بالعهود التي أكدتموها.

والملازمة. يقال عقد قلبه على الشيء، أو عقد قلبه الشيءَ، إذا لزمه، ومن هذا الباب قوله ﷺ: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[(٢)]، فمعقود في نواصيها: أي ملازم لها، حتى لكأنه عُقد عليها.

والتأكيد: يقال: عقد البيع، إذا أكده. ومنه العقد المكتوب في البيع؛ إذ هو لم يكتب إلا بعد إيقاع البيع وتأكيده[(٣)] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص٦٥٤،، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٢٢هـ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧)، ط١، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٢٤هـ.

(٣) انظر: الصحاح، للجوهري، ٢/ ٥١٠، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ. =

ثانيًا: تعريف العقيدة اصطلاحًا:

للعقيدة مفهومان: عام، وخاص.

فأما المفهوم العام: فقد عرفه الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، من خير وشر، من فساد وصلاح»[(١)] .

وعرفت أيضًا: بالإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد سواءً أكان هذا الاعتقاد حقًا أو باطلاً[(٢)] .

وأما المفهوم الخاص:

فإنه هو المراد إذا أطلقت العقيدة الإسلامية وهي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله دينًا لعباده[(٣)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيانه لأهل السنة والجماعة: «هم المتمسكون بالعقيدة الصحيحة الخالية من شوائب البدع والخرافات، وهي العقيدة التي كان عليها رسول الله ﷺ واتفق عليها أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»[(٤)] .

=

والقاموس المحيط، للفيروز أبادي، ص٣٨٣، بيت الأفكار الدولية ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٢٩٥، ط. الثانية ١٤١٧هـ دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان،. ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص٦٥٤.

(١) القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، لعبدالعزيز بن باز، ص١٥، وزارة الشؤون الإسلامة والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض

(٢) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، لناصر العقل، ص١١، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٣) المرجع السابق، ص١٥.

(٤) العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص١٨٣، مع شرحها لمحمد خليل هراس، نشر إدارة =

إذاً فالتعريف الخاص للعقيدة كما قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع من هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين»[(١)] .

وعلى ضوء ما تقدم فإنه ينبغي للداعية إلى الله إدراك المفهوم العام والخاص للعقيدة والتمييز بينهما مع ملاحظة أن لفظ «العقيدة» وإن لم يرد لفظه في الكتاب والسنة؛ فإن سلف الأمة وأئمتها قد قالوا به، وصرحوا به، وخاصة الأئمة الذين عاصروا أهل الأهواء والبدع، وابتلوا بهم، فبينوا للناس اعتقادهم، وما كان عليه سلفهم من الاعتقاد تقريراً، ودعوة إلى الاعتقاد الحق الصحيح المبني على الكتاب والسنة، وتحذيراً من عقائد أهل الأهواء والبدع.

قال الإمام أبوإسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتاب وحيه...»[(٢)] .

ولذلك سمى كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث.

=

البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية . ومجموع فتاوى ابن تيمية ، ٣/ ١٩٣ ، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٨هـ.

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها، لعبدالعزيز بن باز، ص٣، ط٥، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٣هـ . وانظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لعبدالعزيز بن باز، ٨/ ١١ ط٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢١هـ

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية لأبي إسماعيل الصابوني، ١/ ١٠٦ ، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ.

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له...» [(١)].

كما سمى الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: نص غزوة الحديبية كما جاءت في صحيح الإمام البخاري، في كتاب الغزوات، باب غزوة الحديبية.

بَـاب غَـزْوَةِ الْحُدَيْبِيَـةِ وَقَـوْلِ اللهِ تعَـالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

٤١٤٧ – حَدَّثَنَا خَالِدُ بن مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بن بِلَالٍ قَالَ حَدَّثَنِي صَالِحُ بن كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بن عبد اللهِ عَنْ زَيْدِ بن خَالِدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فقَالَ أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ قَالَ اللهُ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللهِ وَبِرِزْقِ اللهِ وَبِفَضْلِ اللهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي.

٤١٤٨ – حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بن خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص٧٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٨هـ.

أَخْبَرَهُ قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلَّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ عُمْرَةً مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةً مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةً مِنْ الْجِعْرَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ.

٤١٤٩ - حدثنا سعيد بن الربيع حدثنا على بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن أبى قتادة أن أباه حدثه قال انطلقنا مع النبى ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابه، ولم أحرم.

٤١٥٠ - حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية.كنا مع النبى ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

٤١٥٢ - حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فضيل حدثنا حصين عن سالم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله ﷺ «ما لكم». قالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال فشربنا وتوضأنا. فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

٤١٥٣ - حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بن مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بن زُرَيْعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ

قَتَادَةَ قُلْتُ لِسَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بن عبد اللهِ كَانَ يَقُولُ كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ. تَابَعَهُ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا قُرَّةُ عَنْ قَتَادَةَ.

٤١٦٠-٤١٦١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن عبد اللهِ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بن أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا وَاللهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمْ الضَّبُعُ وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بن إِيمَاءَ الْغِفَارِيِّ وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمْ اللهُ بِخَيْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا قَالَ عُمَرُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ.

٤١٦٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَمْرِو بن يَحْيَى، عَنْ عَبَّادِ بن تَمِيمٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الحَرَّةِ، وَالنَّاسُ يُبَايِعُونَ لِعبد اللهِ بن حَنْظَلَةَ، فَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: عَلَى مَا يُبَايِعُ ابْنُ حَنْظَلَةَ النَّاسَ؟ قِيلَ لَهُ: عَلَى المَوْتِ، قَالَ: «لاَ أُبَايِعُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ شَهِدَ مَعَهُ الحُدَيْبِيَةَ».

٤١٦٨ - دَّثَنَا يَحْيَى بن يَعْلَى المُحَارِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِيَاسُ بن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ،

قَالَ: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الجُمُعَةَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ، وَلَيْسَ لِلْحِيطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ».

٤١٦٩ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ يَزِيدَ بن أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ: " عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى المَوْتِ ".

٤١٧٠ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ إِشْكَابَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ، عَنِ العَلاَءِ بن المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيتُ البَرَاءَ بن عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقُلْتُ: " طُوبَى لَكَ، صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَبَايَعْتَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُ ".

٤١٧١ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بن صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ هُوَ ابْنُ سَلَّامٍ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بن الضَّحَّاكِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

٤١٧٢ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بن عُمَرَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قَالَ: الْحُدَيْبِيَةُ. قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا. فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قَالَ شُعْبَةُ فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: أَمَّا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ فَعَنْ أَنَسٍ وَأَمَّا هَنِيئًا مَرِيئًا فَعَنْ عِكْرِمَةَ.

٤١٧٣ - حَدَّثَنَا عبد اللهِ بن مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مَجْزَأَةَ بن زَاهِرٍ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ- وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الشَّجَرَةَ- قَالَ: إِنِّي لَأُوقِدُ تَحْتَ الْقِدْرِ بِلُحُومِ الْحُمُرِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَاكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ.

٤١٧٤ - وَعَنْ مَجْزَأَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ اسْمُهُ أُهْبَانُ بن أَوْسٍ وَكَانَ اشْتَكَى رُكْبَتَهُ وَكَانَ إِذَا سَجَدَ جَعَلَ تَحْتَ رُكْبَتِهِ وِسَادَةً.

٤١٧٥ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن بَشَّار، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ عَنْ يَحْيَى بن سَعِيدٍ، عَنْ بُشَيْرِ بن يَسَارٍ، عَنْ سُوَيْدِ بن النُّعْمَانِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أُتُوا بِسَوِيقٍ فَلَاكُوهُ تَابَعَهُ مُعَاذٌ عَنْ شُعْبَةَ.

٤١٧٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن حَاتِمِ بن بَزِيعٍ حَدَّثَنَا شَاذَانُ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَائِذَ بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ-: هَلْ يُنْقَضُ الْوِتْرُ؟ قَالَ: إِذَا أَوْتَرْتَ مِنْ أَوَّلِهِ فَلَا تُوتِرْ مِنْ آخِرِهِ.

٤١٧٧ - حَدَّثَنِي عبد اللهِ بن يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بن أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بن الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

٤١٧٨-٤١٧٩ - حَدَّثَنَا عبد اللهِ بن مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، حِينَ حَدَّثَ هَذَا الحَدِيثَ، حَفِظْتُ بَعْضَهُ، وَثَبَّتَنِي مَعْمَرٌ، عَنْ عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ»

٤١٨٠-٤١٨١ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ بن الحَكَمِ، وَالمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ: يُخْبِرَانِ خَبَرًا مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ الحُدَيْبِيَةِ، فَكَانَ فِيمَا أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ لَمَّا كَاتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُهَيْلَ بن عَمْرٍو يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى قَضِيَّةِ المُدَّةِ، وَكَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بن عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَأَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، فَكَرِهَ المُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامَّعَضُوا، فَتَكَلَّمُوا فِيهِ، فَلَمَّا أَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، كَاتَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا جَنْدَلِ بن

سُهَيْلٍ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بن عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ المدّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، وَجَاءَتِ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، فَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ عَاتِقٌ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمُؤْمِنَاتِ مَا أَنْزَلَ»

٤١٨٢ - قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ وَعَنْ عَمِّهِ قَالَ: بَلَغَنَا حِينَ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ فَذَكَرَهُ بِطُولِهِ.

٤١٨٣ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا خَرَجَ مُعْتَمِرًا فِي الْفِتْنَةِ فَقَالَ: إِنْ صُدِدْتُ عَنْ الْبَيْتِ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَهَلَّ بِعُمْرَةٍ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ.

٤١٨٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَهَلَّ وَقَالَ: إِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَفَعَلْتُ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ حَالَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ، وَتَلَا ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

٤١٨٥ - حَدَّثَنَا عبد اللهِ بن مُحَمَّدِ بن أَسْمَاءَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بن عبد اللهِ وَسَالِمَ بن عبد اللهِ أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا كَلَّمَا عبد اللهِ بن عُمَرَ ح وحَدَّثَنَا مُوسَى بن إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ بَعْضَ بَنِي عبد اللهِ قَالَ لَهُ: لَوْ أَقَمْتَ الْعَامَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ

النَّبِيِّ ﷺ، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ دُونَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ هَدَايَاهُ وَحَلَقَ وَقَصَّرَ أَصْحَابُهُ، وَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَوْجَبْتُ عُمْرَةً، فَإِنْ خُلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَيْتِ طُفْتُ، وَإِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَيْتِ صَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا أُرَى شَأْنَهُمَا إِلَّا وَاحِدًا أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَوْجَبْتُ حَجَّةً مَعَ عُمْرَتِي، فَطَافَ طَوَافًا وَاحِدًا وَسَعْيًا وَاحِدًا حَتَّى حَلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا.

٤١٨٦ - حَدَّثَنِي شُجَاعُ بن الوَلِيدِ، سَمِعَ النَّضْرَ بن مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا صَخْرٌ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ عُمَرُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْسَلَ عبد اللهِ إِلَى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، يَأْتِي بِهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، وَعُمَرُ لاَ يَدْرِي بِذَلِكَ، فَبَايَعَهُ عبد اللهِ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الفَرَسِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ، وَعُمَرُ يَسْتَلْئِمُ لِلْقِتَالِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَهِيَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ. وَقَالَ هِشَامُ بن عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بن مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بن مُحَمَّدٍ العُمَرِيُّ، أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، " أَنَّ النَّاسَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ تَفَرَّقُوا فِي ظِلاَلِ الشَّجَرِ، فَإِذَا النَّاسُ مُحْدِقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا عبد اللهِ، انْظُرْ مَا شَأْنُ النَّاسِ قَدْ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ، فَبَايَعَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عُمَرَ فَخَرَجَ فَبَايَعَ ".

٤١٨٨ - حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: سَمِعْتُ عبد اللهِ بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ اعْتَمَرَ «فَطَافَ فَطُفْنَا مَعَهُ، وَصَلَّى وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لاَ يُصِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ».

٤١٨٩ - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن سَابِقٍ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بن مِغْوَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَصِينٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: لَمَّا قَدِمَ سَهْلُ بن حُنَيْفٍ مِنْ صِفِّينَ أَتَيْنَاهُ نَسْتَخْبِرُهُ، فَقَالَ: «اتَّهِمُوا الرَّأْيَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ قَبْلَ هَذَا الأَمْرِ، مَا نَسُدُّ مِنْهَا خُصْمًا إِلَّا انْفَجَرَ عَلَيْنَا خُصْمٌ مَا نَدْرِي كَيْفَ نَأْتِي لَهُ».

٤١٩٠ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بن حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً» قَالَ أَيُّوبُ: «لاَ أَدْرِي بِأَيِّ هَذَا بَدَأَ».

٤١٩١ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن هِشَامٍ أَبُو عبد اللهِ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي لَيْلَى، عَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالحُدَيْبِيَةِ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ، وَقَدْ حَصَرَنَا المُشْرِكُونَ، قَالَ: وَكَانَتْ لِي وَفْرَةٌ، فَجَعَلَتِ الهَوَامُّ تَسَّاقَطُ عَلَى وَجْهِي، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

المبحث الأول

ما جاء في الغزوة من بيان توحيد الربوبية

إن التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب ينقسم باستقراء نصوص القرآن والسنة إلى ثلاثة أنواع[(١)]:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

يقول الإمام أبوجعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة متنه في العقيدة المشهورة بالطحاوية: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره» [(٢)].

والأدلة على ذلك كثيرة جدا. وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله ﷻ، في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم، آية:٦٥].

---

(١) هذا التقسيم هو الذي درج عليه أكثر أئمة السلف، وترجع إليه التقسيمات الأخرى التي ذكرها بعضهم كمن جعله أربعة أقسام، حيث جعل توحيد الأسماء قسماً وتوحيد الصفات قسماً آخر، ومنهم من أضاف قسماً رابعاً إلى الثلاثة وهو توحيد الاتباع. وممن أشار إلى هذا التقسيم تنبيهاً وتصريحاً غير من ذكر في المتن: الحافظ ابن منده في كتابه التوحيد (١/ ٣٣)، والإمام أبوالقاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٩٥)، والإمام المقدسي في كتابه التوحيد لله ﷻ (ص٣٢)، والسفاريني في لوامع الأنوار (١/ ١٢٨)، وأوسع من فصل في هذا ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٨٩-١٠٩) و(٦/ ٨٣) و (١٠/ ٢٨٤-٢٨٦)، وفي التدمرية (ص٤-٥)، وابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٣) و(٣/ ٤٦٨).

(٢) العقيدة الطحاوية، للإمام الطحاوي، ص٤

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً ذلك: «فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ هذا توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات؛ أي لا تعلم له سمياً أي مسامياً يضاهيه ويماثله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وتوحيد الربوبية: هو إفراد الله بأفعاله. قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر»[(٢)].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف توحيد الربوبية «الإقرار بأفعال الرب وتدبيره للعالم وتصرفه فيه»[(٣)].

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة، آية:٢]. وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر، آية:٦٢]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات، آية:٥٨].

---

(١) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد، لابن عثيمين، ص٩، ط١، دار طويق، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢) تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله، ص٣٣، ط٣، ١٣٩٧هـ، بيروت.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، ١/ ٣٤، ط٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢١هـ.

ومن دلائل ما جاء عن توحيد الربوبية في غزوة الحديبية كما جاءت في صحيح الإمام البخاري: «...خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله، فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنجم كذا وكذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»[(١)].

فبينت الرواية أنه يجب إسناد الأفعال لمن خلقها، وأوجدها، وهو سبحانه وتعالى وأن في إسناد ذلك لغير الله سبحانه كفرا به ومن ذلك الاستسقاء بالأنواء.

والاستسقاء: طلب السقيا، والمراد نسبة مجيء المطر إلى الأنواء.

والأنواء: جمع، مفرده نوء. وهي منازل النجوم، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل كل ثلاثة عشرة ليلة منزلة منها، وسمي نوءاً -من ناء ينوء نوءاً، إذا نهض وطلع [(٢)] ؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب - مع طلوع الفجر - ناء - نهض وطلع - أخرى في مقابلها في المشرق، فتنقضي جميعاً مع انقضاء السنة؛ وقد كانت العرب في الجاهلية تزعم أنه مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطرٌ، وينسبون نزوله إليها، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا[(١)].

(١) حديث رقم (٤١٤٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص٩٦٦

(١) انظر: الدين الخالص، لصديق حسن خان، ٢/ ١٢٩. مكتبة دار التراث، القاهرة، وفتح

والاستسقاء بالأنواء يكون أحياناً من الشرك الأكبر وأحيانـاً مـن الشـرك الأصغر وبيان ذلك كما يأتي:

١-من اعتقـد أن للـنجم تـأثيراً - بـدون مشيئة الله-، فينسـب المطـر إلـى النجم نسبة إيجاد واختراع، فهذا من الشرك الأكبر.

٢-من اعتقد أن للنجم تأثيرا - بمشيئة الله-، والله جعل هذا النجم سـبباً لنزول المطـر، وأجرى العـادة بوجـود المطـر عنـد ظهـور ذلـك الـنجم. فهـذا محرم على الصحيح، وهو من الشـرك الأصـغر، وذلـك لأنـه نسـب نعمـة الله إلى غيره، ولأن الله لـم يجعل النوء سبباً لإنـزال المطـر فيـه، وإنمـا هـو فضـل منه ﷻ ورحمة، يحبسه إذا شاء، وينزله إذا شاء[١] .

وبناءً على ما تقـدم فإنـه ينبغي للداعيـة إلى الله بيـان هـذا النـوع مـن التوحيـد والتحـذير مـن الشـركيات التـي تقـع في توحيـد الربوبيـة، ومـن ذلـك الاستسـقاء بالأنواء كما قـال سـبحانه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٨٢] والتـي لا يتركها النـاس لقـول النبي ﷺ: «أربـع في أمتي مـن أمـر الجاهليـة لا يتركـونهن؛ الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[١] .

=

المجيـد، لعبـدالرحمن بـن حسـن ص٤٥٢، نشـر الرئاسـة العامـة لإدارات البحـوث العلميـة والإفتاء، ط٣، الرياض، ١٤١٣هـ. وتيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله، ص٤٥١.

(١) انظـر: تيسـير العزيـز الحميـد، لسـليمان بـن عبـدالله، ص٤٥٤، وفـتح المجيـد، لعبـدالرحمن بـن حسـن، ص٤٥٥، والـدين الخـالص لصـديق حسـن خـان، ٢/ ١٢٩، والمجمـوع الثمـين مـن فتـاوى فضـيلة الشـيخ محمـد بـن صـالح العثيمـين، ٢/ ١٣٩، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، برقم (٩٣٤).

وليدرك الداعية إلى الله ﷻ وليبين للناس بأن هذا النوع من التوحيد – توحيد الربوبية- لا يكفي لدخول الإسلام، بل لابد أن ينضم إليه توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن كفار قريش قد أقروا بأن الله هو الخالق الرازق، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف، آية:٨٧]. ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس، آية:٣١].

المبحث الثاني

ما جاء في بيان توحيد العبادة

توحيد العبادة: هو «إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان»(١) .

وتوحيد العبادة شأنه عظيم ومنزلته كبيرة جداً، فلأجله خلق الله الخلق ؛ قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات، آية:٥٦].

وهو أول دعوة الرسل –عليهم الصلاة والسلام– ومن أجله أرسلوا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل، آية:٣٦]. وبه أنزل الله الكتب، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء، آية:٢٥].

وهو التوحيد الذي أنكره المشركون حين دعتهم الرسل إليه كما ذكر الله عنهم ذلك بقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص، آية:٥].

وهو معنى لا إله إلا الله: إذ معناها لا معبود بحق إلا الله. كما قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج، آية:٦٢].

وأول أمر في القرآن الكريم أمره بتوحيد العبادة، وأول نهي هو النهي عن

---

(١) إعلام السنة المنشورة، لحافظ الحكمي، ص٥١. ط٢، مكتبة السوادي، جدة، ١٤٠٨هـ. وانظر: المجموع الثمين، لابن عثيمين، ٢/ ١١.

ضده وهو الشرك؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، الآيتان:٢١-٢٢].

ومن براهين ما جاء في توحيد العبادة في غزوة الحديبية: إفراد الله وحده بالدعاء، وشاهد ذلك: «ما قاله عبدالله بن أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: «اللهم صلِّ عليهم» فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» [(١)].

والدعاء هو أجل العبادات وأعظم القربات وأنفع الطاعات، بل هو العبادة، فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر، آية:٦٥]. [(٢)] وسماه الله جل وعلا دينا كما في قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر، آية:٦٠].

والدعاء عنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الرب، وإظهار الافتقار إليه، ولهذا حث الله عباده عليه، ورغبهم فيه في آي كثيرة من القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤/ ٢٦٧، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (٧١٤)، والترمذي، برقم (٣٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم (١٧٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود، باب الدعاء، برقم(١٤٧٩)، والنسائي، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ برقم(١١٤٦٤)، وقال الحاكم في مستدركه١/ ٦٦٧: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[الأعراف، الآيتان:٥٥-٥٦].

وأخبر سبحانه مرغباً عباده في الدعاء بأنه قريب منهم يجيب دعاءهم، ويحقق رجاءهم، ويعطيهم سؤلهم، دون ما سواه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة، آية:١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل، آية:٦٢].

وعلى ضوء ما تقدم فعلى الداعية إلى الله أن يتقي الله –جل وعلا– ويعتني ببيان توحيد العبادة غاية العناية ليقوم بما أوجب الله عليه من البيان ويسلم من مغبة الكتمان ؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة، الآيتان:١٥٩-١٦٠].

وليعلم أن المسؤولية العظيمة والتبعة الجسيمة تقع عليه بوجه أشد وأعظم إن كان في الأماكن التي ابتليت بتعظيم القبور والافتتان بها والبناء عليها واتخاذها مساجد؛ لأن هذه الأعمال من أعظم الوسائل المؤدية إلى الشرك من دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وهذا من صرف حق الله إلى غير الله، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل، آية:٦٢].وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن، آية:١٨].

وليدرك الداعية إلى الله بأن من أعظم أسباب توفيقه في دعوته وانتفاع الناس بها هو كثرة دعائه لله ﷻ بأن تكون دعوته خالصة لوجهه الكريم.

وينبغي له أن يبين للناس منزلة الدعاء وعظيم شأنه ويحثهم على صدق اللجوء إليه سبحانه مع مراعاة شروط وآداب الدعاء.

ويجدر به أيضاً أن يعلم أنواع الدعاء ويبين ذلك للناس ليتضح الحق من الضلال، إذ إن الدعاء نوعان [(١)]: دعاء مسألة ودعاء عبادة وثناء، وفي النوعين طلب التوصل والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، سواء أكان على وجه السؤال لله ﷻ، والاستعاذة به، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار، وهذا دعاء المسألة والطلب. أم كان على وجه عبادته ﷻ، وطاعته، وامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، وهذا دعاء العبادة والثناء. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذين النوعين: «إن المعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر؛ فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة، ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة. فَعُلم أن النوعين متلازمان» [(٢)] .

وليحذر الداعية إلى الله ويحذر غيره من خطورة توجه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله ﷻ، لأن ذلك يوقع في الشرك. فيقع الشرك في النوع الأول، دعاء العبادة إذا صرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ.

---

(١) انظر: بيان ذلك في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ٢/ ٧٧٨، تحقيق: ناصر العقل، ط١، العبيكان، الرياض، ١٤٠٤هـ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن بن حسن ، ص٢٢٣.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٥/ ١٠،

يقول الإمام أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالشرك به في الأفعال: كالسجود لغيره سبحانه، والطواف بغير البيت المحرم، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره»(١) ، وكذا لو ذبح لغير الله تعظيماً له، وتقرباً إليه، فقد أشرك شركاً أكبر؛ لأن الذبح عبادة أمر الله ﷻ بها في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر، آية:٢] (٢).

ويقع الشرك في النوع الثاني ؛ دعاء المسألة والطلب، إذا كان المدعو ميتاً أو كان السؤال في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ؛ فلو كان المدعو حياً قادراً على ذلك فليس بشرك؛ كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك أما إن كان المدعو ميتاً، فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة (٣) .

ومن هنا، يقال: ليس دعاء المسألة والطلب كله شركاً، بل دعاء الإنسان لغيره ينقسم إلى ثلاثة أقسام (٤) :

١ -أن يدعو مخلوقا بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة؛ كسؤال الفقير. فهذا جائز.

٢ - أن تدعو مخلوقاً مطلقاً – سواء كان حياً أو ميتاً- فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً، فهذا شرك أكبر؛ لأن هذا من فعل الله ﷻ الذي لا يستطيعه البشر، ولا يقدرون عليه.

---

(١) تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي، ص٥٨، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

(٢) المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثمين، ٢/ ١٤٨.

(٣) فتاوى العقيدة، لابن عثيمين، ص٣٩٨، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩٩.

٣- أن تـدعو مخلوقـاً لا يجيـب بالوسـائل الحسـية المعلومـة؛ كـدعاء الأموات فهذا شرك أكبر أيضاً، لأن هذا لا يقدر عليه المدعو. ولا يقع مثل هذا النوع من الدعاء إلا إذا اعتقد الداعي في المدعو شيئاً يدبر به الأمور.

المبحث الثالث

ما جاء في إثبات بعض الأسماء والصفات لله ﷻ

أسماء الله تعالى وصفاته من الغيب الذي لا يعرفه الإنسان إلا بطريق السمع؛ لأن البشر لا يحيطون بالله تعالى علماً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه، آية:١١٠]. والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بالنظر في أسماء الله وصفاته ومعرفتها على التفصيل إثباتاً ونفياً، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد أخطأ، ومال عن الصراط المستقيم.

فيجب على العبد أن يقف عند كلام الله وكلام رسوله ﷺ في ذلك كله.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»[1].

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الاعتقاد من صفات الله وأسمائه إلا ما جاء به منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم ولا يناظر فيه»[2].

ويعرف توحيد الأسماء والصفات بأنه: إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه، في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، نفياً وإثباتاً، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ، ٥/ ٢٦

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٩٤٣.

ضده، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل [١] .

وهذا النوع من أنواع التوحيد ينبني عند أهل السنة والجماعة على أصول منها[٢]:

١-تنزيه الله ﷻ، فالله ﷻ ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله [٣] ، كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى، آية:١١].

٢-الإيمان بجميع ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً، على الوجه اللائق بكماله وجلاله. فكما لا يجوز تمثيل صفاته ﷻ بصفات خلقه، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه.

والملاحظ في الآية المذكورة آنفاً أنها ذات شقين؛ أحدهما: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل، والآخر: ﴿وَهُوَ

(١) انظر: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣/ ٣، والرسالة التدمرية له ،ص٧، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٠٥هـ . ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني، ١/ ١٢٩، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ .والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٢/ ١٢، والأسئلة والأجوبة في العقيدة، للشيخ صالح الأطرم، ص٢٢.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ٢/ ١١٠، ط١، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.وأضواء البيان ، للشنقيطي، ٢/ ٣٢١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، وآداب البحث والمناظرة، له ٢/ ١٢٧.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ١/ ١١٧، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

ﱡﭐﱫ ﱬ ﱠ رد على أهل النفي و التعطيل.

٣-قطع الطمع عن إدراك كيفية صفاته ﻷ؛ إذ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه؛ لأن عقولهم لا تطيق «كنه معرفته ﻷ، ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته»[1] .

ومن دلائل إثبات بعض الأسماء والصفات في غزوة الحديبية ما يأتي:

١-إثبات لفظ الجلالة (الله) وذلك في أكثر من موطن في الروايات ومن ذلك: «... ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم ؟». قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «قال الله: أصبح من عبادي...».

وقال: «امضوا على اسم الله».

ولهذا الاسم الكريم من الخصائص ما ليس لغيره من الأسماء، ومن خصائصه أن الله يضيف سائر الأسماء إليه كقوله: ﱡﭐﱸ ﱹ ﱺﱠ [الأعراف، آية:١٨٠]. يقال: العزيز والرحمن والكريم والقدوس من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، فإن هذا الاسم الكريم مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية[2] ، فلهذه المعاني العظيمة وغيرها مما اختص به هذا الاسم ذهب جمع كبير من أهل العلم أن الاسم الأعظم هو (الله) قال الإمام أبوعبدالله بن منده في كتابه التوحيد، وقد اختار فيه أن اسم الله الأعظم هو الله: «فاسمه الله معرفة ذاته، منع الله ﻷ أن يتسمى به أحد من خلقه، أو يدعى باسمه إله من

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٢/ ٥٧٥.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، لعبدالرزاق العباد، ١/ ١٤٦، مطابع الحميضي، ١٤٢٦هـ.

دونه، جعله أول الإيمان وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه، يحتجز القائل من القتل، وبه تفتتح الفرائض وتنعقد الأيمان، ويستعاذ من الشيطان، وباسمه يفتتح ويختم الأشياء تبارك اسمه ولا إله غيره»[1]، ولا يقصد من كلام ابن منده الاسم المجرد كما تفعل الصوفية؛ بل يقصد به ضمن سياق كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله).

٢-إثبات الرضا لله ﷻ، ويدل على ذلك من الغزوة الآية التي افتتح بها الإمام البخاري الباب وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح، آية:١٨].

فأهل السنة والجماعة كما أثبتوا الصفات الذاتية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه كذلك أثبتوا الصفات الفعلية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

ومن بين تلك الصفات الفعلية التي أثبتوها لله تعالى على الحقيقة صفتي الرضا والغضب من غير تأويل ولا تعطيل فيرضى عن المحسنين، ويغضب على الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة، آية:٦١]. وقال سبحانه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة، آية:٦٠]. وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة، آية:٩٦]. وقال جل شأنه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة، آية:١١٩].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب

---

(١) التوحيد، لابن منده، ٢/ ٢١.

والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى... ولا يقال: إن الرضا إرادة الإحسان،والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة. وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه وَيَكْرَهُهُ ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب عندهم، ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده»[1] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي... فقد ظن به ظن السوء»[2] .

٣-إثبات صفة الكلام لله تعالى. والشاهد على ذلك من الباب: «... عن زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي..»».

ومسألة صفة الكلام لله تعالى مسألة كبيرة عظيمة القدر، اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية، لما ظهرت فرقة الجهمية[3] والمعتزلة[1] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ٢/ ٦٨٥، وانظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص٢٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٣/ ٢٣٢،

(٣) الجهمية: سموا بذلك نسبة إلى الجهم بن صفوان، الذي تتلمذ على الجعد بن درهم ونشر =

ومذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام أن الله سبحانه وتعالى ما زال متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، كيف شاء، وكلامه على الحقيقة يليق بجلاله وعظيم سلطانه، لا يشبه كلام المخلوقين وهو يتكلم ويقول ويناجي وينادي ويتحدث بحرف وصوت يسمعه من شاء من عباده كما سمعه موسى –عليه السلام– بلا واسطة، ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة، وكلامه قديم النوع حادث الآحاد [٢] ، قائما بذاته ليس مخلوقاً منفصلاً وهو لازم لذاته لزوم الحياة بل هو تابع لمشيئته وقدرته [٣] .

وقد استدلوا بأدلة كثيرة غير ما ذكر في الباب، ومن ذلك قوله تعالى:

=

أفكاره. الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ٨٦.، من أبرز عقائدهم: نفي الأسماء والصفات.

(١) المعتزلة، هم أتباع واصل بن عطاء، الذي خالف الحسن البصري في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين حتى طرده الحسن من مجلسه فاعتزل سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل له ولأتباعه معتزلة ، ومن أصولهم: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الفرق بين الفرق، للبغدادي،ص١٥ ، ط١، دار المعرفة، بيروت .

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ومعنى قديم النوع إن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه معلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء» شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين، ص٧٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية، ٢/ ٥٨٤، ١٢/ ٣٩، ٤٠، ١٧٣، ٣٧٣، ٥٧٦، ٥٧٨. وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ١/ ١٨٩، ومعارج القبول، ١/ ٢٥٥، وشرح الواسطية، للهراس، ص١٥٠، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية، ضمن رسائل في العقيدة، للعثيمين، ص٨٦.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة، آية:٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء، آية:١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف، آية:١٤٣].

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم...»(٢).

٤-إثبات صفة الرحمة، وبرهان ذلك من الغزوة: «فأما من قال: مطرنا برحمة الله...».

وصفة الرحمة صفة ذات وصفة فعل معا، فهو ذو الرحمة العظيمة الواسعة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام، آية:١٣٣].وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام، آية:١٤٧].وقال جل شأنه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف، آية:٥٨].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قدم على النبي ﷺ سبيٌ، فإذا امرأة من السبي تحلب تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟» قلنا: لا،

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) برقم (٧٤٤٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، برقم (١٠١٦).

(٢) نفس التخريج السابق.

وهي تقدر على أن لا تطرحه؛ فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[(٢)]. فلا مخلوق إلا و قد وصلت إليه رحمة الله، وغمرة فضله وإحسانه[(٣)].

«ورحمة الله ﷻ عامة وخاصة، فأما العامة فهي لجميع الخلق، فكل الخلق، مرحومون برحمة الله، ولولا رحمة الله ما أكلوا وما شربوا، وما اكتسوا، وما سكنوا، ولكن الله رحمهم، فهيأ لهم ما تقوم به أبدانهم، من المعيشة الدنيوية، وأما رحمته الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين الذين تستمر رحمتهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا رحمهم الله تعالى بحصول ما تقوم به أبدانهم، وفي الآخرة رحمهم الله تعالى بحصول ما تقوم به أديانهم»[(٤)].

واستناداً إلى ما تقدم فإن على الداعية إلى الله اعتقاد ما عليه أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، والدعوة إليه، فالاشتغال بذلك اشتغال بما

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبليه ومعانقته، برقم (٥٩٩٩)، ومسلم ، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، برقم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، برقم (٦٠٠٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، برقم (٢٧٥٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ص٤٠٧، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

(٤) أحكام من القرآن، لابن عثيمين، ١/ ١٤..

خلق الله له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بالداعية إلى الله أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، آية:٥٦]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[الطلاق، آية:١٢]: «فأخبر أنه خلق العالم ليعرّف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده»[(١)].

وعلى الداعية إلى الله الرد على من يضل في أسماء الله وصفاته، وتبيين الحق له، وهذا يتطلب منه التزود من العلم ومعرفة منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.

وعليه أيضا أن يحذر من الدعوات التي لا تتهم بعقيدة التوحيد، وتريد جمع الناس على غير التوحيد.

وينبغي له أيضاً أن يتفطن لأمر مهم أثناء دعوته للناس، وهو دلالتهم على الفوائد العظيمة لمعرفة منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما تثمر عنه من محبة الله ﷻ وعبادته على الوجه الذي أمرنا به، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارهما من العبودية...، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٤/ ١٥٩٣.

عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه»[١].

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢/ ٥١٠).

المبحث الرابع

ما جاء في محبة النبي ﷺ وتعظيمه وبعض دلائل نبوته

محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين فلا إيمان لمن لم يكن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين.

والمتأمل في سياق رواية البخاري لغزوة الحديبية في هذا الباب يجد الدلائل الكبرى على محبة الصحابة رضي الله عنهم وتعظيمهم للنبي ﷺ، وورود شيء من معجزاته ﷺ وبيان ذلك كما يأتي :

أولاً: ما جاء في محبة النبي ﷺ وتعظيمه:

١- أن النبي ﷺ لما جاءه رسوله الذي أرسله لقريش فقال له: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك. فقال النبي ﷺ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ: امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ....»[(١)]

٢- «أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما خرج معتمراً في الفتنة، فقال: إن صددت عن البيت صنعنا كما صنعنا مع رسول الله ﷺ، فأهلّ بعمرة، من

---

(١) حديث رقم (٤١٧٩).

أجل أن رسول الله ﷺ كان أهلّ بعمرة عام الحديبية»[(١)].

وفي رواية «عن ابن عمر: أنه أهلّ وقال: إن حيل بيني وبينه لفعلت كما فعل النبي ﷺ، حين حالت كفار قريش بينه، وتلا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب، من الآية:٢١].

٣- «عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ، فقال: يا عبدالله، انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ؟ فوجدهم يبايعون، فبايع ثم رجع إلى عمر، فخرج فبايع».

٤- «...سمعت عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، حين اعتمر، فطاف فطفنا معه، وصلى وصلينا معه، وسعى بين الصفا والمروة، فكنا نستره من أهل مكة لا يصيبه أحد بشيء»[(٢)].

٥- فتبين من خلال الروايات المتقدمة كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يحبون النبي ﷺ ويعظمونه إذ يتبعونه ﷺ ويقتدون به ويتأسون ويدافعون عنه، ويبايعونه على الموت -رضي الله عنهم أجمعين-.

وما تقدم تقرره أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، قال الله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة، آية:٢٤]. قال القاضي

(١) حديث رقم (٤١٨٣).

(٢) حديث رقم (٤١٨٨).

عياض في شرح الآية: «فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله –تعالى-: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»[1].

وقال الله –تعالى-: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب، آية:٦] قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»[3].

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[4].

وعن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[1]، قال ابن حجر: «أي: الآن عرفت فنطقت

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى، للقاضي عياض، ٢/ ١٨

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، برقم (٤٧٨١) .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٨٦٧) .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم (١٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم (٦٦٣٢).

بما يجب»[١] .

ومحبة النبي ﷺ على قسمين فرض ونفل. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محبة الله على قسمين: فرض وندب، فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه. والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها؛ فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع.

وكذلك محبة الرسول ﷺ على قسمين كما تقدم، ويزداد: ألا يتلقى شيئاً من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها»[٢] .

و «تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه ولكن لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة، فإذا كان هذا هكذا، فما بين العبد وسيده، والوالد وولده، فمعلوم أن حق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وألزم لنا وأوجب علينا، من حقوق السادات

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٣٦ ط٢ ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٦١ .

على مماليكهم والإماء على أولادهم» [(١)] .

ثانياً: ما جاء من دلائل نبوته ﷺ:

١- «عن البراء بن عازب رضي الله عنه...كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا» [(٢)] .

٢- وفي رواية: «....أنبأنا البراء بن عازب رضي الله عنهما: أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفا وأربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ فأتى البئر، وقعد على شفيرها ثم قال «ائتونى بدلو من مائها». فأتى به فبصق فدعا ثم قال «دعوها ساعة». فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا» [(٣)] .

٣- وفي رواية: «عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم». قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال فشربنا وتوضأنا. فقلت لجابر: كم

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ٢/ ١٢٤ .

(٢) حديث رقم (٤١٥٠).

(٣) حديث رقم (٤١٥١).

كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[(١)] .

فهذه الروايات تدل على المعجزات العظيمة التي وقعت للنبي ﷺ في هذه الغزوة التي تبرهن على نبوته ﷺ.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما وقع للنبي ﷺ من معجزات، بل لا يكاد يخلو كتاب من كتب العقيدة أو السنة من ذكر معجزات نبوته ﷺ، وقد أفردت كتب كثيرة في ذلك بلغت ما يزيد على سبعين مؤلفاً[(٢)] .

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عديدة منها قول الله –تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[الحديد، آية:٢٥]. أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات[(٣)] . وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[(٤)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث: «وليس المراد حصر

---

(١) حديث رقم (٤١٥٢).

(٢) انظر إلى أسمائها ومؤلفيها في معجم ما أُلف عن رسول الله ﷺ، لصلاح الدين المنجد، ص ٦٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثيرة، ٤/ ٣٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، برقم (٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بمثله، برقم (١٥٢) ، واللفظ له .

معجزاته فيه –أي القرآن– ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره»[(١)] .

وعلى ضوء ما تقدم فإن على الداعية إلى الله أن يكون محباً للنبي ﷺ أشد من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، وأن يبين هذا الأساس العقدي للمدعوين بكل أسلوب ووسيلة مشروعة.

وعليه أن يحتج على الذين ينكرون نبوة محمد ﷺ بالمعجزات العظيمة التي أوتيها والتي من أعظمها القرآن الكريم.

وعليه أيضاً أن يكون متبعاً لمنهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، تاركاً المناهج المبتدعة والمحدثة ممتثلاً لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف، آية:١٠٨]. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يكون من أتباعه حقاً إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كان متبوعه ﷺ يفعل، فهؤلاء خلفاء الرسل حقاً، وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علماً وعملاً وهداية وإرشاداً وصبراً وجهاداً»[(٢)] .

وعليه أيضاً أن يرد الأمور عند التنازع والاختلاف إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وليحذر من تقديم قول أحد على كلام الله وسنة رسوله ﷺ، كالتعصب لأحد من الأئمة الأربعة والأخذ برأيه وإن خالف السنة، فإن هذا من التقليد المذموم الذي ذمه أهل السنة وعلى رأسهم هؤلاء الأئمة الأربعة

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٩/٩ .

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ٧٨ ، ط١، دار ابن عفان، الخبر ، ١٤١٦هـ.

الذين اتفقوا على أن الحديث إذا صح فهو مذهبهم، وكذلك عليه أن يُحذِّر الناس من ذلك، ويعظهم بالأدلة الشرعية التي تحذر منه، ويستشهد أيضاً بأقوال الأئمة الأربعة التي تنهى عن التمسك بآراء الرجال واجتهاداتهم وتقديمها على سنة رسول الله ﷺ.

المبحث الخامس

ما جاء في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

من الأصول الثابتة عند أهل السنة والجماعة التي أسست عليها عقيدتهم -وفارقوا بها أهل الأهواء والبدع- محبتهم لأصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم واعتقاد فضلهم وعدالتهم وحفظ حقوقهم ونشر مناقبهم والاستغفار لهم والكف عما شجر بينهم.

ومن دلائل فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من خلال غزوة الحديبية ما يأتي:

١- الآية التي افتتح بها الإمام البخاري هذا الباب وهي قوله -تعالى-: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح، آية:١٨].

٢- «...سمعت جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»»[1].

٣- مسارعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لمبايعة النبي ﷺ؛ إذا قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كانوا خمسة عشرة مائة الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية».

وهذه المسألة مسألة مقررة عند أهل السنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ موضحاً لها: «من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ؛ كما وصفهم الله به في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر، آية:١٠]. وطاعة النبي

(١) برقم (٤١٥٤).

ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[(١)]. ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع: من فضائلهم ومراتبهم»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «وأفضل الخلق بعد الأنبياء، وأكملهم علماً، وديناً، واعتصاماً بحبل الله، واتباعاً لدين الإسلام الذي بعث الله به رسوله، هم أصحاب رسول الله ﷺ»[(٣)].

وما أجمل ما قاله الصحابي الجليل: عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما وصف أصحاب النبي ﷺ بقوله: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(٤)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن السنة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً...»، برقم (٦٦٤). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، برقم (٢٢٥٤).

(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى، ٣/ ١٥٢.

(٣) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، لابن تيمية، ص٣٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، ٢/ ٩٤٧.

أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآرائهم فضيلة» (١) . وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد قوله -تعالى-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة، آية:١٠٠]: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبابكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذاً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون» (٢).

وبناءً على ما مضى فإن على الداعية إلى الله أن يلزم منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ.

وأن يدرك بأن من أعظم المواضيع الدعوية التي لابد أن تبين للناس

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة، ١/ ٣٠، وحادي الأرواح، لابن القيم، ص٣٢١ ، والشرح والإبانة، لابن بطة، ص٢٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٣٩٨ .

وتوضح لهم هو بيان فضل أصحاب النبي ﷺ وعدالتهم وحفظ حقوقهم والاستغفار لهم والكف عما شجر بينهم.

وليجتهد إن أوتي علماً وملكة في الرد على مجادلة من يسبون وينتقصون أصحاب النبي ﷺ.

وليحرص على الأخذ بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم أعرف الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ، وأقرب الأجيال إلى النبوة عهداً، وأغزرهم علماً، وأتقاهم قلوباً، وأزكاهم نفوساً، وأعرفهم بالحق، وأبعدهم عن الضلالة والأهواء، فهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا» [(١)] .

وليدرك بأن منهجهم في الدعوة وغيرها هو أتم وأعلم وأحكم، يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسلف علمهم أتم وأعلم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا صار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متبعهم، ولا يهتدي مخالفهم» [(٢)] .

فليتق الداعية إلى الله ربه وليقتد بهم وليلزم طريقتهم في العلم والعمل والدعوة والفتوى وغيرها، وليحذر من الانزلاق وراء الأهواء المضلة، والفتن المدلهمة، فإن السعيد من سار على ما كان عليه الصحابة، والشقي

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٣/ ٣٦٩، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ.

(٢) المجموع، للنووي، ١/ ١٠ .

من حاد ذلك، وأتبع نفسه هواها، وسلك مسالك أهل الأهواء والبدع.

المبحث السادس

ما جاء في طاعة الإمام في العسر واليسر

لقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة. قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله لا يستقيم الدين إلا بولاة الأمر، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون»[(١)].

والمتدبر في الأحاديث الواردة في غزوة الحديبية في هذا الباب يجد شواهد متعددة تبرهن على وجوب طاعة الإمام في العسر واليسر وعدم الخروج عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

١- «...قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال: على الموت»[(٢)].

٢- «... لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَأَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ فَكَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامَّعَضُوا فَتَكَلَّمُوا فِيهِ فَلَمَّا أَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ كَاتَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا جَنْدَلِ بن سُهَيْلٍ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بن عَمْرٍو وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ١١٧ تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢) برقم (٤١٦٩).

أَحَدٌ مِنْ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا...»[١].

وهذه المسألة مقررة عند أهل السنة والجماعة إذ أنهم يرون وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في العسر واليسر والمنشط والمكره في غير معصية الله، وإن جاروا وظلموا ولا يدعى عليهم ولا تنزع يداً من طاعتهم، ويناصحون سراً لا علانية. قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله -عَزَّوَجَلَّ- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[٢].

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عديدة منها قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء، آية:٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولو الأمر أصحابه وذووه، وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي

---

(١) حديث رقم (٤١٨١).

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز الحنفي، ٢/ ٥٤٠.

(٣) الحسبة، لابن تيمية، ص١٨.

الأمير فقد عصاني»[١].

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: تسمع وتطع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع»[٢].

وعن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»[٣].

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله كيف تأمرنا ؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»[٤].

وبناءً على ما تقدم فإن على الداعية إلى الله أن يعرف منهج أهل السنة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى: «وأطيعوا الله واطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم »، برقم ٧١٣٧). ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٤٧) .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، برقم (١٨٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» برقم (٧٠٥٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم (١٨٤٩) .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم (١٨٤٣).

والجماعة في ولاة أمور المسلمين، وأن يبث ذلك بين الناس في دروسه ومحاضراته وكلماته وخطبه، ويحثهم على الالتزام بالمنهج الحق ليكون داعية للاجتماع والائتلاف لا للفرقة والاختلاف.

وعليه أيضاً أن يُحذّر من خطورة المناهج الفكرية المنحرفة التي تدعو للتكفير والخروج على الحكام ومنازعتهم.

ولابد له أن يأخذ بالمنهج الحكيم في مناصحة ولاة الأمور وذلك بالسمع والطاعة لهم، وإنزالهم منزلتهم، ونصحهم سراً بلين ورفق على ما يليق بمنزلتهم، لأن ذلك أدعى لقبول النصيحة وأحرى في جمع قلوب الناس عليهم، وعدم تنفيرهم منهم، وعدم الخروج عليهم قولاً أو فعلاً. فعن عياض بن غنم قال: «قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان؛ في أمر فلا يبده علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له»[١].

وعليه أن يدعو لهم بالصلاح والمعافاة فإن ذلك دليل على التزام السنة معهم. قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣/ ٤٠٣ . وابن أبي عاصم في السنة، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ. وصححه الألباني في تعليقه عليها، ٢/ ٥٢١.

(٢) شرح السنة، للبغوي، ص١١٤. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث فإنني أحمد الله –سبحانه وتعالى– وأشكره على ما وفق وهدى من إنجاز هذه الدراسة، والتي توصلت من خلالها إلى مجموعة من النتائج أُوجزها في النقاط التالية :

١) عظم شأن (غزوة الحديبية) وما اشتملت عليه من فوائد وحكم عظيمة يجدر بالباحثين الاهتمام والعناية بها.

٢) عظم أمر عقيدة التوحيد إذ أن النبي ﷺ كان يوضحها ويبينها في جميع أوقاته وأحواله.

٣) اشتمال غزوة الحديبية على بيان توحيد الربوبية.

٤) تضمنت غزوة الحديبية على بيان توحيد العبادة.

٥) احتواء غزوة الحديبية على إثبات بعض الأسماء والصفات لله ﷻ.

٦) ورود ما يدل في الغزوة على وجوب محبة النبي ﷺ وتعظيمه وبعض معجزاته.

٧) اشتمال الغزوة على بيان فضل صحابة النبي ﷺ وعظم مكانتهم.

٨) ورود ما يدل في الغزوة على وجوب طاعة الإمام في العسر واليسر.

٩) بيان الإجراءات العملية لكيفية الدعوة لكل أساس من الأسس العقدية الواردة في البحث.

فهرس المصادر والمراجع

١) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢) إعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي، ط٢،مكتبة السوادي، جدة، ١٤٠٨هـ.

٣) إعلام الموقعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق : ناصر العقل، ط١، العبيكان، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٥) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.

٦) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

٧) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله، ط٣، بيروت،١٣٩٧هـ.

٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، تعليق محمود شاكر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ.

١٠) جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن شهاب الدين رجب الحنبلي، تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

١١) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار طويق، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٣) الدين الخالص، صديق حسن خان، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٤) الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٣٠٥هـ.

١٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر.

١٦) السنة، ابن أبي عاصم، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٧) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٨) شرح السنة، البغوي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

١٩) شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق : أحمد محمد

شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض،١٤١٨هـ.

٢٠) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، نشر إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية.

٢١) الصحاح للجوهري، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٢٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٢٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان الصابوني، ط١، دار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ.

٢٥) العقيدة الصحية وما يضادها، عبدالعزيز بن باز، ط٥، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٢٦) فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٢٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط٢، دار البيان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٢٨) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط٣، الرياض ١٤١٣هـ.

٢٩) الفـرق بـين الفـرق، عبـد القـاهر البغـدادي، ط١، دار المعرفـة، بيروت.

٣٠) فقـه الأدعيـة والأذكـار، عبـدالرزاق العبـاد، مطـابع الحميضـي، ١٤٢٦هـ.

٣١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، بيت الأفكار الدولية.

٣٢) القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، عبدالعزيز بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

٣٣) لسان العرب، لابن منظور، ط الثانية، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣٤) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ.

٣٥) المجمـوع الثمـين مـن فتـاوى فضـيلة الشـيخ محمـد بـن صـالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.

٣٦) مجمـوع فتـاوى ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبدالحليم بـن تيميـة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

٣٧) مجموع فتاوى ومقـالات متنوعـة، عبـدالعزيز بـن بـاز، ط٢، رئاسـة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢١هـ.

٣٨) المسند، الإمام أحمد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٩) معارج القبول، حافظ الحكمي، الدار البيضاء، القاهرة.

٤٠) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإدارة، ابن القيم، ط١، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ.

٤٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ط١، دار الكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة